«الاغتراب السياسي»
كمدخل لفهم تحولات السلوك السياسي للشباب

نبيل الأندلوسي

دكتور في العلوم السياسية

ملخص:

يناقش هذا المقال إشكالية الشباب المغربي وعلاقته بالمشاركة السياسية من زاوية نقدية، منطلقا من مفهوم الاغتراب السياسي بوصفه مدخلا لفهم التحولات التي عرفها الفعل السياسي الشبابي. ويقارب الخطاب السائد حول «عزوف» الشباب عن السياسة، موضحا أن هذا الخطاب لا يعكس واقع الممارسة بقدر ما يحجب تنوع أشكال المشاركة غير التقليدية التي طورها الشباب، خاصة في سياق تراجع دور الأحزاب ومؤسسات الوساطة التقليدية. كما يحلل المقال بروز الفضاءات الافتراضية والحركات الاحتجاجية بوصفها مجالات بديلة للتعبئة والتأثير السياسي، ويبرز كيف أسهمت التحولات البنيوية التي مست الدولة والمجتمع في إعادة صياغة علاقة الشباب بالسياسة. هذا ليخلص إلى أن السلوك السياسي للشباب المغربي يعبر عن وعي سياسي جديد، يتسم بالانتقائية والبراغماتية، ويسعى إلى التغيير ضمن حدود الممكن السياسي بدل القطيعة الشاملة مع المجال السياسي.

الكلمات المفتاحية: الشباب - المشاركة السياسية - الاغتراب السياسي - العزوف السياسي - الحركات الاحتجاجية - الفعل السياسي غير التقليدي - الفضاء الرقمي - الوساطة السياسية.

مقدمة:

يشكل الشباب إحدى الفئات الاجتماعية الأكثر إشكالية في التحليل السياسي المعاصر، ليس فقط بالنظر إلى موقعه الديموغرافي، بل أساسا لما يحمله من تحولات في أنماط الوعي والممارسة والتمثل السياسي. وقد أعادت الحركات الاحتجاجية ذات النفس الشبابي، سواء في السياق الغربي منذ انتفاضات أواخر ستينيات القرن الماضي أو في الفضاء الإقليمي خلال العقد الثاني من الألفية الثالثة، طرح سؤال علاقة الشباب بالسياسة خارج الأطر التفسيرية الكلاسيكية التي اختزلت هذه العلاقة في ثنائية المشاركة والعزوف.

وفي السياق المغربي، تكتسي هذه الإشكالية بعدا خاصا، بالنظر إلى التحولات البنيوية التي مست الدولة والمجتمع، وما رافقها من إعادة تشكيل للخطاب العمومي حول الشباب باعتباره فاعلا اجتماعيا وسياسيا محوريا. من هذا المنطلق، يسعى هذا المقال إلى تحليل موقع الشباب المغربي بين السياسة والاغتراب السياسي، من خلال مساءلة الأطروحات التي تربط سلوكه السياسي بالعزوف، والكشف عن ديناميات المشاركة غير التقليدية والتحولات التي عرفتها أشكال الفعل السياسي الشبابي، سواء في المجال العمومي المادي أو في الفضاءات الرقمية، باعتبارها تعبيرا عن وعي سياسي جديد وإعادة صياغة لعلاقة الشباب بالمجال السياسي.

أولا: الشباب والمشاركة السياسية

وقف الفكر الغربي المعاصر، طويلا حول الظاهرة الشبابية، خاصة بعد انتفاضة 1968، محللا ومتسائلا عن هوية شبيبة غامضة ومتمردة، ثم مر وقت بعد ذلك ليعيد نفس الفكر اكتشاف موضوعة «الشباب» كإحدى الأوهام الكبرى التي عبرت أزمنة «الحداثة» الأوروبية، وبعيدا عن ذلك يلاحظ المتتبع للخطاب العمومي المغربي، بكل مستوياته السياسية والثقافية والاجتماعية أيا كان مصدره، سواء تعلق الأمر بالفاعلين السياسيين أو السلطة أو الصحافة، ذلك بالحضور المكثف للشباب كموضوعة وكمقولة في البناء الدلالي لهذا الخطاب[1] خاصة بعد الحراكات الشبابية التي عرفتها العديد من دول المنطقة، واستطاعت قلب العديد من التوازنات والمفاهيم المقاربة لعلاقة الشباب بالسياسة.

فالخطاب الذي كان متداولا حول الشباب والمشاركة السياسية، كان يقدم معطى «العزوف» كثابت منهجي في تحليل علاقة الشباب بالسياسة بعيدا عن كل الأسئلة الممكنة وكحقيقة مطلقة خارج كل تفاعلات التاريخ،[2] وسياقات التطور التي بينت أن المشاركة في حد ذاتها «مشاركات»، وأن «العزوف» وإن بدى في محطات من الزمن السياسي أنه في ترابط وثيق مع برايغمات تحديد العلاقة ما بين الشباب والسياسة، إلا أنه لا يجسد إلا نوعا ضيقا من العزوف، الذي لا يعني بالضرورة إحداث القطيعة مع الممارسة السياسية، بل إن العزوف في حد ذاته قد يعني نوعا من السياسة يتيح الفرصة لإبداء موقف الرفض للواقع السياسي السائد، وبالتالي رفض ممارسة السياسة بقواعد محددة سلفا، دون أن يعني ذلك الاستنكاف عن الالتجاء لبدائل أخرى لتفعيل المشاركة بوسائل غير الوسائل التقليدية.

1. حسن طارق، «الشباب، السياسة وقضايا الانتقال الديمقراطي»، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، 2007، ص.7.

2. حسن طارق، «المجتمع المغربي وسؤال المواطنة والديمقراطية والسياسة»، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 17، منشورات فكر، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2010، ص.81.

وقد طور الشباب المغربي وسائلا كثيرة للمشاركة غير التقليدية في السنوات الأخيرة، خاصة عبر الفضاءات الافتراضية التي هي بالأساس صنيعة الشباب، وقد تمكن هؤلاء الشباب من نقل نشاطهم وتعبئتهم من المجال الافتراضي على الإنترنيت إلى خلق حركة حقيقية قوية في الشارع،[1] تمكنت من صنع رأي عام وموازين قوى جديدة، وما يعكس بشكل واضح أهمية الحراك الافتراضي في نقل الحركة أو الوعي على الأرض هو الخوف الشديد الذي أبدته العديد من الأنظمة العربية التي عرفت حراكا شبابيا، وقيام معظم هذه الدول بقطع خدمات الإنترنت والاتصالات لفترة ليست بالقصيرة عن شعوبها[2] بغية التحكم في أهم وسيلة تواصل في العصر الحديث ألا وهي وسائط ومواقع التواصل الاجتماعي، التي أصبحت تلعب دور التعبئة أكثر من الأحزاب وهيئات الوساطة التقليدية ما بين الحكام والمحكومين، والتي تراجع دورها في تمثل مطالب المواطنين وفقدانها للقدرة على تحويل هذه المطالب إلى قرارات وبرامج سياسية، وهو ما جعل فئات عريضة، والشباب بشكل أكبر مقتنعين بحتمية الاحتجاج كوسيلة ضامنة للتغيير وقادرة على إيصال الرسائل التي ينتظر منها أن تصل للمسؤولين والقائمين على الشأن العام.

وهناك دراسات ترى في غياب الحرية السياسية والمشاركة السياسية هدفا لظهور قوى مهمشة سياسيا، فيقدم بارتا تشاتريي Partha Chatterjee دافعا قويا لظهور الحركة الاحتجاجية، التي يقودها الشباب غالبا، كنتيجة طبيعية لتهميش المجتمع سياسيا (الشباب كفئة مهمشة سياسيا) وشعوره بالاغتراب السياسي، وغياب دور الوسطاء السياسيين (مؤسسات المجتمع المدني) في الحوار والاتصال بالسلطة، لذا تظهر الحركة الاحتجاجية كفاعل سياسي من خلال إيصال المطالب السياسية لأفراد المجتمع إلى السلطة[3] أو المطالبة بتغيير أساليب هذه الأخيرة.

ولهذا، لا يمكن فهم المشاركة السياسية للشباب المغربي بمعزل عن التحولات البنيوية التي مست الدولة والمجتمع معا، حيث أفرزت هذه التحولات وضعا مركبا تتقاطع فيه مطالب الإدماج السياسي مع واقع التهميش الاجتماعي والاقتصادي. فالشباب لا يرفض السياسة في ذاتها، وإنما يرفض شروط ممارستها كما تعرض داخل القنوات التقليدية التي تبدو عاجزة عن استيعاب تطلعاته وتمثيل انتظاراته. وهو ما يجعل المشاركة السياسية غالبا ما تتحول إلى فعل احتجاجي رمزي أو ميداني، يستعاد من خلاله المعنى الأخلاقي للسياسة بوصفها أداة للمساءلة والضغط، لا مجرد

1. عمر سمير خلف، «المشاركة السياسية للشباب بعد الثورة»، أوراق البدائل، منتدى البدائل العربي للدراسات، دون تحديد المطبعة وتاريخ النشر، ص.9.

2. حبيبة محسن، «المشاركة السياسية غير التقليدية لجيل الشباب في مصر: بين الالتفاف على النظام القمعي ومواجهته؟»، ضمن مؤلف جماعي أحمد الساري وآخرون، جيل الشباب في الوطن العربي ووسائل المشاركة غير التقليدية من المجال الافتراضي إلى الثورة، إشراف محمد العجاتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013.

3. Partha chatterjee: "The politics of the governed: Reflections on popular politics in Most of the World, Leonard Hastings Schoff Lectures, Columbia University Press, New York, 2006.

آلية للتداول النخبوي على السلطة. لذا فالحراك الشبابي يعبر عن أزمة وساطة سياسية، ويعبر في ذات الوقت عن دينامية اجتماعية جديدة، تسعى إلى إعادة بناء العلاقة بين الدولة والمجتمع على أسس أكثر انفتاحا وتشاركية.

ثانيا: تحولات سلوك الشباب المغربي

قدم الشارع المغربي منذ منتصف التسعينات أحداثا وسلوكات احتجاجية تسير في اتجاه يوضح حدوث انتقال في علاقة المحكوم بالسلطة السياسية، وذلك باعتماد الاحتجاج السلمي بدل العنف والسلوك الاحتجاجي-السياسي المعلن أمام مراقبة المخزن بدلا عن السلوك الاجتماعي-السياسي المبطن والخوف من المخزن في الماضي، وهو ما يمكن تفسيره بأنها بداية التحرر من المخزن كتمثل ثقافي، سياسي واجتماعي استطاع أن يخلق نوعا من المراقبة الذاتية المبطنة لدى المغاربة في تعاملهم مع الأحداث والظواهر المختلفة[1] وهو ما أكدته سيرورة الأحداث التي أدت إلى ظهور حركة 20 فبراير ثم «جيل زيد»، باعتبارها حركات احتجاج ذات منطلق شعبي ونفس شبابي طرحت مطالب سياسية واجتماعية بسقف إصلاحي لم تمس في جوهرها بنية النظام السياسي القائم، ولم تجاري أو تتماهى مع حركات احتجاجية منها استلهمت الحركة فكرة وجودها في الأصل.

في هذا السياق، يمكن اعتبار التحولات التي عرفها سلوك الشباب المغربي انعكاسا لتحول أعمق في تمثل السياسة ذاتها، حيث لم تعد تختزل في الانخراط الحزبي أو القنوات المؤسساتية الكلاسيكية للتنشئة السياسية، بل أصبحت تُفهم بوصفها مجالا أوسع للتعبير عن المواقف والاحتجاج والمطالبة بالحقوق. بحيث اتجه جزء كبير من الشباب إلى أشكال جديدة من الفعل السياسي غير المؤطر حزبيا أو مؤسساتيا، تقوم على المبادرة الذاتية والعمل الجماعي المرن، مستفيدين من الفضاءات العمومية والرمزية التي أتاحتها التحولات التكنولوجية ووسائل التواصل الاجتماعي. وهو ما يعكس انتقالا من «السياسة المؤطرة» إلى «السياسة الشبكية» إن جاز التعبير، حيث يغدو الفعل السياسي أقل مركزية وأكثر ارتباطا بالقضايا اليومية والملموسة.

كما تكشف هذه التحولات عن نوع من الازدواجية في علاقة الشباب المغربي بالسياسة؛ فمن جهة، يتنامى الوعي السياسي والقدرة على النقد ورفض الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية القائمة، ومن جهة أخرى يستمر قدر من الحذر وعدم الثقة في الفاعلين والمؤسسات السياسية التقليدية. وهذا الوضع أسهم في بروز أنماط من المشاركة السياسية غير المباشرة، مثل المقاطعة، أو الاحتجاج القطاعي، أو التعبير الرمزي، والتي يمكن فهمها بوصفها أشكالا بديلة ومبتكرة للمشاركة،

1. عبد الرحيم المنار السليمي، «السلوك الاحتجاجي والموت التواصلي في الفضاء السياسي المغربي»، مجلة وجهة نظر، عدد مزدوج 19-20، ربيع وصيف 2003، ص. 13.

لا تقل دلالة عن المشاركة الرسمية، بل تعكس محاولة لإعادة تعريف معنى الفعل السياسي وحدوده.

ومن هنا، يمكن القول أن تحولات سلوك الشباب المغربي تجاه السياسة لا تعني القطيعة معها بقدر ما تعبر عن إعادة صياغة علاقتهم بها. فهي علاقة تتسم بالانتقائية والبراغماتية، حيث يتم الانخراط عندما تتقاطع المطالب مع الاهتمامات المباشرة والآنية، ويغيب عندما يُنظر إلى السياسة كمجال مغلق أو غير قادر على الاستجابة. لذا، فإن فهم هذه التحولات يقتضي تجاوز مقولات العزوف واللامبالاة وأحكام القيمة التبسيطية، والنظر إلى سلوك الشباب باعتباره تعبيرا عن وعي سياسي جديد يسعى إلى التغيير ضمن هوامش ممكنة والمتاح السياسي.

خاتمة:

يبرز التحليل أن علاقة الشباب المغربي بالسياسة لا يمكن اختزالها في منطق الانسحاب أو اللامبالاة، بقدر ما تعكس تحولا عميقا في تمثل السياسة وممارستها. فالشباب لا يرفض السياسة في حد ذاتها، وإنما يعبر، بشكل عام، عن رفضه لشروط إدماجه داخل قنوات مؤسساتية تقليدية فقدت الكثير من قدرتها على الوساطة والتمثيل. وقد أفرز هذا الوضع أشكالا بديلة للمشاركة، يتداخل فيها الاحتجاج، والمقاطعة، والتعبئة الرقمية، بما يجعل الفعل السياسي الشبابي أكثر مرونة وأقل خضوعا للضبط الحزبي والمؤسساتي.

إن الحراك الشبابي، في هذا الإطار، يشكل تعبيرا عن اغتراب سياسي ناتج عن التهميش وضعف قنوات المشاركة، لكنه في الوقت ذاته يعكس دينامية اجتماعية تسعى إلى إعادة بناء العلاقة بين الدولة والمجتمع على أسس جديدة، قوامها الضغط والمساءلة والتفاوض. وعليه، فإن مقاربة المشاركة السياسية للشباب المغربي تقتضي تجاوز المقاربات الاختزالية والتبسيطية، واعتماد قراءة تركيبية تستوعب تعقيد التحولات الجارية وتربط بين الوعي السياسي الجديد وحدود الممكن السياسي في السياق المغربي.

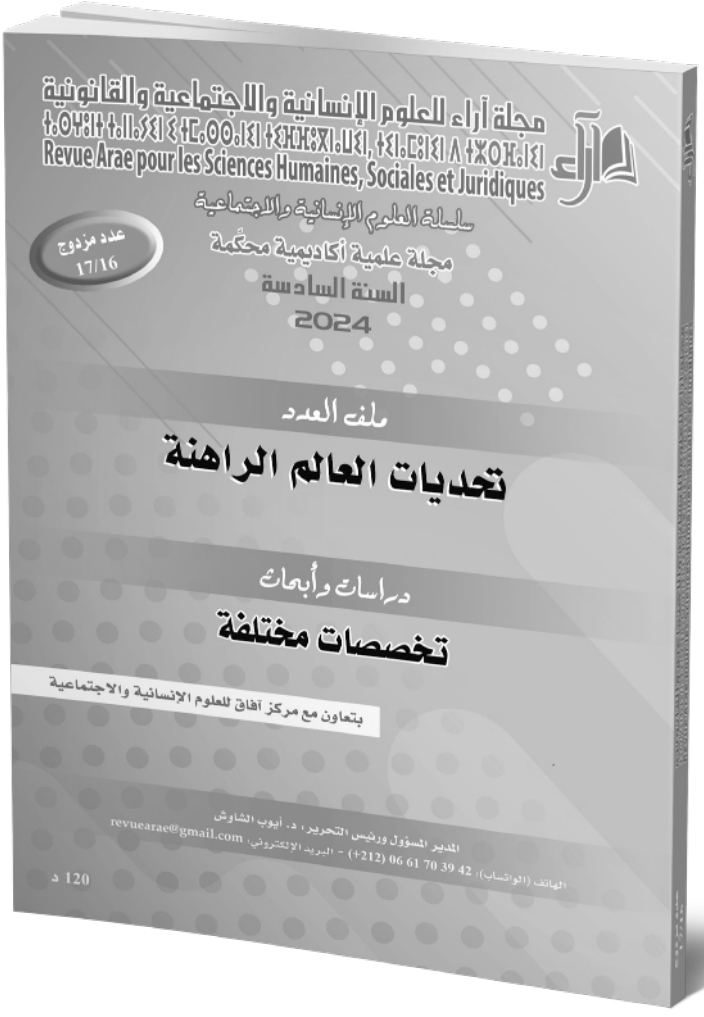
مجلة آراء للعلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية
Revue Arae pour les Sciences Humaines, Sociales et Juridiques
سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة علمية أكاديمية محكّمة
السنة السادسة
2024
عدد مزدوج
17/16
ملف العدد
تحديات العالم الراهنة
دراسات وأبحاث
تخصصات مختلفة
بتعاون مع مركز آفاق للعلوم الإنسانية والاجتماعية
المدير المسؤول ورئيس التحرير: د. أيوب الشاوش
الهاتف (الواتساب): 42 39 70 61 06 (212+) - البريد الإلكتروني: revuearae@gmail.com
120 د